المقدمة

التاريخ الإسلامي هو المصدر الأول للرواية التاريخية الإسلامية، حيث لجأ إليه عدد من الكتاب، واستقوا من منبعه قضايا دينية وفكرية وسياسية، عرضوها على القراء من خلال أعمال قصصية تختلف من حيث الجودة، والدقة، والأمانة التاريخية بحسب اختلاف اتجاهات الكتاب وميولهم[1].

وجرجي زيدان يعد من أوائل من كتبوا روايات تاريخية مستمدة في إطارها العام من التاريخ الإسلامي، بل إن كثيرًا من النقاد يعدونه رائدًا للقصة التاريخية الإسلامية في عالمنا العربي.

«إن جرجي زيدان كاتب متعدد المواهب، وباحث أصيل في التاريخ والأدب، ولكنه يتميز بكتابة الرواية التاريخية بحيث يتسنم مكانة الريادة فيها في تاريخ الأدب العربي الحديث، فقد أصدر اثنتين وعشرين رواية ما بين عامي ١٨٩١و ١٩١٤م،

(١) انظر: كتاب «الفن القصصي في الأدب المصري الحديث» لمحمود حامد شوكت (دار الفكر العربي، بدون تاريخ)، ص، ١٣٨ وكتاب «بانوراما الرواية العربية الحديثة» للدكتور سيد حامد النساج (الطبعة الأولى ، بيروت: المركز العربي للثقافة والعلوم)، ص٤٥ وما بعدها.

تسجل أحداثًا من تاريخ العرب والمسلمين منذ عصر ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث»[1].

وهذا رأي أكثر النقاد العرب في العصر الحديث، بينما يرى بعض الكتاب أن الريادة في هذا الأمر ليست خالصة لجرجي زيدان، فقد سبقه سليم البستاني المتوفى سنة١٣٠١هـ / ١٨٨٤م حيث ألف روايات تاريخية منها «الهيام في فتوح الشام» و«الإسكندر» و«زنوبيا» الصادرة ما بين عامي ١٨٧١م و١٨٧٤م[2].

ومهما كان الاختلاف فإن جرجي زيدان يظل سابقاً لغيره في هذا المجال حيث أكثر من الكتابة فيه، فأصدر اثنتين وعشرين رواية تاريخية تحت عنوان عام هو «روايات تاريخ الإسلام» منها: (أرمانوسة المصرية) صدرت عام ١٨٩٥م، و(فتاة غسان) ١٨٩٧م، و(عذراء قريش)١٨٩٩م، و(السابع عشر من رمضان) ١٩٠٠م، و(غادة كربلاء)١٩٠١م، و(شارل وعبدالرحمن) ١٩٠٤م، و(أبومسلم الخراساني) ١٩٠٥م،

(١) رواية «الأسير» لجرجي زيدان (دار الهلال، طبعة عام ١٩٨٥م)، المقدمة بقلم الدكتور محمد مصطفى هدارة.

(٢) الأعلام للزركلي، جـ ٣، ص١٧٧ .

و(العباسة أخت الرشيد) ١٩٠٦م، و(الأمين والمأمون) ١٩٠٧م، و(عروس فرغانة) ١٩٠٨م، و(أحمد بن طولون) ١٩٠٩م، و(عبدالرحمن الناصر) ١٩١٠م، و(الانقلاب العثماني) ١٩١١م، و(فتاة القيروان) ١٩١٢م، و(صلاح الدين ومكائد الحشاشين) ١٩١٣م، و(شجرة الدر) ١٩١٣م.

فالمقصود بالريادة هنا السبق وليس التفوق الفني، والصدق التاريخي كما سنبين فيما بعد.

إن الرواية التاريخية الإسلامية بالمفهوم الفني المعاصر للرواية تكتسب أهميتها من أهمية أحداث التاريخ الإسلامي أولاً، ثم من المستوى الفني الذي يحقّقه الكاتب الروائي اختيارًا للأحداث وحسن عرضٍ لها ومراعاةً للانسجام بين أشخاصها. وهنالك مقاييس نقدية عامة متفق عليها في هذا المجال، ومن أهمها وجوب مراعاة صحة دلالة الحدث التاريخي بحيث تسلم أحداث التاريخ من التحريف والتغيير في أصل روايتها أو في مدلولها، وهذا مقياس نقدي في غاية الأهمية؛ لأن الرواية بصورتها الفنّية تستدعي قدرًا من الخيال يتم به الربط بين أحداثها وشخوصها، وهنا يتفاوت الكتّاب في مدى قدرتهم على

مراعاة حقائق التاريخ والمواءمة بينها وبين الجانب الخيالي في العمل الروائي.

وهذه الجوانب المهمة هي التي دفعتني إلى هذه الوقفة القصيرة مع جرجي زيدان وبعض رواياته التي استمد أحداثها من التاريخ الإسلامي.

obeikandl.com